

باكورة

جنّة جان جينيه وبول بولز صارت تاكل أبناءها . في فيلمها الطويل الأول، تجري صاحبة «أماكننا الممنوعة» محاكمة ذكية للواقع المغربي الذي يعيش في مجتمع معولم ومتوحش، حيث يرمي أولاده وقوداً للمراكات الأوروبية

نساء ليلي الكيلاني في جحيم طنجة

الدار البيضاء - محمد الخيزري

طنجة بول بولز وجان جينيه وغيرهما من كبار المبدعين الغربيين الذين جعلوها جنتهم، تحولت إلى جحيم تستقبل مغاربة الجيل الجديد ممن تضيق بهم الأرض، فيعيشون «على الحافة». هذا هو البورتريه الذي تنسجه المخرجة المغربية ليلي الكيلاني (1970) في فيلمها الروائي الأول «على الحافة» حيث البطلات لا يعيشن طنجة الكوسموبوليتية التي صنعها المخيال الأدبي الغربي، طنجة الفاقعة الألوان والمدينة السرية والحميمية التي احتضنت حماقات سنوات الحب والسلم. هؤلاء البطلات يعشن على الحافة، حيث السقوط لا يهمن بقدر ما يهمن أن لا يسقطن في نظرتهم إلى ذواتهن. الاحترام للذات، رغم قذارة الحياة هي الملجأ الوحيد لهن.

الحياة «الطنجاوية» في عمل السينمائية المغربية تصير مدينة الخطايا والقسوة حيث البطلات ممثلات هاويات لم يسبق لهن تادية أدوار في أي شريط. تنسحق النساء اللواتي ينحدن من أوساط شعبية، في عالم طنجة المؤلم والمغبر الذي تتقاذف فيه أرجل الرأسمال الأدميين، فيصرون أجساداً تنتهك حرمتها من دون شفقة. البطلات يعملن في مصانع لتقشير الصدفيات والنسيج. ومن قاع طنجة التي صارت أحد مراكز الصناعة المغربية الجديدة، ياتين رافضات واقعهن الذي يردن تغييره بالقوة. هكذا يراوحن بين حياة العمل في مصانع المنطقة الصناعية، وبين حياة الليل الصاخبة حيث ينترعن قهقن. تغيير «القدر» بالقوة، والسقوط في مأساوية شاعرية يخيمان على الأفلام الأخيرة في المغرب مع «موت للبيع» للمخرج فوزي بنسعيد، أو «كارانكيرو» لنور الدين لخماري. لكن ذلك يتخذ بعداً آخر في «على الحافة» الذي نزل أخيراً إلى الصالات المغربية. في حين تطرقت الأفلام إلى قدر الرجال في المدن الكبرى في المغرب، فإن ليلي الكيلاني التي بدأت مشوارها مخرجة وثائقية عام 1999، تنحاز هنا إلى النساء.

الفيلم الحائز الجائزة الكبرى



مشهد من «على الحافة»

في «المهرجان الوطني للفيلم في طنجة»، ينطلق من قصة واقعية تناقلتها الجرائد عام 2005 عن «تأنيث الجريمة»، ترصد حكاية أربع شابات في ظل التحول الذي أحال المدينة منطقة حرة لتصنيع البضائع الأوروبية. يسلط الفيلم الضوء على حياتهن والأسباب التي دفعتهن إلى ارتكاب حوالي 400 عملية إجرامية.

إنه شريط يرصد حياة محاربات اخترن الانحياز إلى قسوة الأمازونيّات. يحاربن واقعهن ويضعن قانونهن الخاص: انتزاع قهقن بأيديهن. وراء قصة نزوعهن إلى الجريمة (كما يراها القانون والمجتمع)، ينكشف واقع طنجة التي شهدت الكثير من التغييرات في العقود الأخيرة وجعلتها تفقد نضارتها. نحن هنا أمام المدينة الحديثة التي صارت مركز استقطاب لمدممين ومهّمشين مغاربة يحاربون من أجل البقاء. آلاف النساء يشغلن أما في مصانع سمك تجعل الرائحة النتنة تلتصق بأجسادهن،

أو في مصانع ملابس المراكات الأوروبية الشهيرة التي يعملن فيها بظروف سيئة. أحد مشاهد الشريط يلخّص واقعهن. في لقطة مقرّبة، تقول إحدى البطلات: «لا أسرق: بل أعوّض نفسي، لا أسطو بل أسترجع ممتلكاتي. لا أعمل في التهريب بل أتاجر. لا أمارس الدعارة بل أدعوني. لا أكذب: فأنا أتحدث الآن عما سأكونه. أنا فقط أسبق الحقيقة: حقيقتي». طيلة ساعة ونصف الساعة (مدة الفيلم)، تستحيل النساء إلى محاكمة ذكية للواقع المغربي الذي تنتصر فيه

اعتماد شكل
سينمائي قريب من
الأفلام الوثائقية

أسامة العارف
الإطالة الأخيرة

حسين بن حمزة

هو صاحب «إضراب الحرامية» التي وضعت اسمه في الصفوف الأولى لحدائث المسرح اللبناني. النص الذي قدّمه روجيه عساف ونضال الأشقر عام 1971، تحول إلى إحدى العلامات الفارقة للمدينة التي كانت تعيش عصرها الذهبي في المسرح والشعر والصحافة والسياسة. ظلّ اسم أسامة العارف الذي رحل قبل يومين، مرتبطاً بنصه الأول، وظل نصه محكوماً باسمه. كتب خمس مسرحيات أخرى، ولكن تلك المسرحية واطبت على حراسة اسمه الذي ضنع في زمن غير هذا الزمن الذي

يشهد غيابه. أخرج له جلال خوري «بنسيون الست نعيمة»، ويعقوب الشدراوي «يا اسكندرية بحرك عجائب»، بينما قدمت بتي توتل آخر أعماله «أيام بتسوى فرانكو» قبل ثلاثة أعوام. لكن تلك العروض قدمت في الظلال القوية لماكورتته التي توجّتها المؤسسة الدولية للمسرح بالجائزة الثانية، ووضعت صاحبها أمام خيارات صعبة بين المحاماة والكتابة. هكذا، بدأ أنه عاش حياتين: واحدة داخل مهنته التي دافع فيها عن العدالة والحرية، وأخرى ملاصقة للحياة المسرحية في المدينة التي ولد فيها، وأخذت شخصيته الكثير من انفتاحها وتعديتها. من صداقة المسرحيين، ربح صاحب «أخ يا بطل» التخفف من ثقل الجملة الأدبية لصالح الحركة والفعل والأداء على خشبة. ومن عمله القانوني، اكتسب قوة الحوار والجدل.



تحول «إضراب الحرامية» إلى إحدى العلامات الفارقة للمدينة التي كانت تعيش عصرها الذهبي

بطريقة ما، كان العارف حاضراً وغائباً في الوقت نفسه. كنا نسمع في السنوات الأخيرة أخباراً عن مرضه وانزوائه، ونعرف أنه لا يزال واحداً من فريق «مسرح المدينة» الذي نعاه أول من أمس. تكريمه إلى جوار أسماء أخرى في مهرجان «ملتقى الشباب» في «مسرح المدينة» في أيلول (سبتمبر) الماضي، كانت آخر إطلالاته العامة التي بدا فيها وديعاً ومنعباً وهو يلقي كلمته القصيرة. كان التكريم كان تكبيراً بحقنة أخرى لم يعد أبناؤها يجدون أمكنة لآفة بهم في الزمن الراهن. اكتفى أسامة العارف بالكتابة للمسرح، وحتى في ذلك كان مقلداً. تغيير المسرح. لم يعد المسرحيون الجدد يعتمدون على نصوص جاهزة ومكتوبة مسبقاً. صارت الكتابة المسرحية ممارسة محكومة بالارتجال والبروفات. كأن تقدم الزمن والتجريب المسرحي تعاوناً على إبعاد الراحل إلى الهامش الذي أقام فيه مع أقرانه الذين ينعونه اليوم ويتقبلون التعزية به، بينما ينتظر بعضهم رجلاً ماثلاً. لعلها تراجيداً قدرية أن تغيب أيقونات الماضي في قسوة الحاضر.

مفاتيح

كرعود والأكاديمي بشار حيدر في السادسة من مساء الليلة في قاعة Van Dyck Amphitheatre (الجامعة الأميركية في بيروت). للاستعلام: 01/340460

■ ضمن نشاطات «المهرجان المسيحي الحادي عشر 2012»، دعا «الاتحاد الكاثوليكي العالمي للصحافة - لبنان» (أوسيب لبنان) وجمعية «لابورا» إلى حضور الأسمية الموسيقية التي تشارك فيها «الجمعية اللبنانية لنشر الموسيقى الأوركستراوية». وتضم الأسمية التي تقام في الساعة من مساء الأحد 11 تشرين الثاني (نوفمبر) الساعة 55 عازفاً شاباً تتراوح أعمارهم بين 12 و18 سنة. كما تقيم برامج توجيهية مع جمعية «لابورا» تتخللها عروض عسكرية، وموسيقية، ولقاءات توجيهية وتدريبية من الخامسة حتى الثامنة من مساء الأحد 18 تشرين الثاني (نوفمبر). للاستعلام: 04/413352 www.ucipliban.com

■ التهجير والواقع المعيشي والتعليمي في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، مواضيع وتيمات جمعت صور الأطفال الفلسطينيين في «واقعي في الصورة». المعرض الذي يموله الاتحاد الأوروبي، بالتعاون مع «جمعية مهرجان الصورة - ذاكرة». يفتتح يوم الأربعاء 7 في «مسرح المدينة» (الحمرا - بيروت) ويستمر حتى 13 تشرين الثاني (نوفمبر). للاستعلام: 01/343834

■ «العدالة الانتقالية: المسار والتحديات» هو عنوان الندوة التي تقيمها «أمم للتوثيق والأبحاث» بالتعاون مع «التحالف الدولي لمواقع الضمير والذاكرة» و«معهد عصام فارس للسياسات العامة والعلاقات الدولية» (الجامعة الأميركية في بيروت) ضمن أعمال المؤتمر الإقليمي المنعقد في بيروت تحت عنوان «التوثيق وحقوق الإنسان». ويشترك في الندوة النائب عسان مخيبر والمدير السابق لمكتب منظمة العفو الدولية في بيروت أحمد

يضم مجموعة من آخر أعمال الفنانين ثائر معروف وسمعان خوام ويستمر حتى 18 تشرين الثاني (نوفمبر).

■ ألقى السلطات السورية القبض على الصحافية شذا المداد والكاتب ضاهر عيطة (الصورة). وقد اعتقلت المداد بعدما استدعاهما الفرع الداخلي في جهاز أمن الدولة، علماً أنّها اشتهرت بمواقفها المعارضة. أما الروائي والمخرج المسرحي وكاتب السيناريو ضاهر عيطة فهو معروف بمواقفه المعارضة، وقد فاز أخيراً بجائزة عن أفضل نص مسرحي للأطفال في المسابقة التي تقيمها «الهيئة العربية للمسرح» في الشارقة عن نصه «براءة بحار».

وفي ظلّ هذه الاعتقالات، انطلقت حملة دولية تطالب بالإفراج عن معتقل آخر هو المحامي خليل معنوق الذي يعاني من مشاكل في الرئتين وصعوبة في التنفس.



■ مطوّلات أم كلثوم تحلّ الليلة على «المكتبة العامة لبلدية بيروت» (الباشورة) بدعوة من جمعية «السبيل». يقدم الباحث الموسيقي النياس سحاب أسمية موسيقية بعنوان «أم كلثوم: مطوّلات مسرحية» يتخللها سماع وتحليل عنها في الساعة من مساء اليوم. كما دعت المكتبة العامة لبلدية بيروت (الباشورة) هواة الكتابة من عمر 14 حتى 16 سنة إلى محترف للكتابة الإبداعية باللغة العربية يحمل عنوان «من أنا» ويديره علي صبّاح ابتداءً من 19 تشرين الثاني (نوفمبر). للاستعلام: 01/667701

■ افتتحت أخيراً الصلاة الأولى المتخصصة في الفن المعاصر للشرق الأوسط في آسيا. فقد أطلق رجل الأعمال اللبناني أسعد وجدي رزوق في سنغافورة «غاليري سنا» التي تسعى إلى خلق مساحة لعرض أعمال فناني الشرق الأوسط وخصوصاً الشباب. بعد الحراك العربي الذي أنتج حركة متجددة للفن المعاصر، تفتتح الغاليري نشاطاتها بمعرض «قبل من العدو»